من عربية الفطرة إلى عربية الصّنعة: دراسة في خصائص عربية القرآن

د. مصطفى منتوران

مختبر الترجمة وتكامل المعارف، كلية الآداب جامعة القاضي عياض

ملخص

تميزت اللغة العربية في طورها الأول بطبيعتها وفطريتها، فهي لسان العرب بداهة، ولقد عاشت العربية تجربة أولية اتسمت بتعلقها أساسا بوجدان المتكلم وعِرْفانه، ولأنها واكبت سيرورة التاريخ وركَب الحضارة فقد دخلت بعد ذلك تجربة علمية صناعية مع ظهور العلوم ونشأة المعارف توازي في نسقها العام الصورة الطبيعية للعربية الفطرية.

فما حدود المرحلة الفطرية الطبيعية لـ (كلام العرب/ لغة القرآن) ومتى بدأ الاستدلال بكلام العرب في صورته الصناعية (علوم اللسان العربي/ علم العربية)؟ وكيف صار (علم العربية) معادلا معرفيا (لعربية القرآن) وما باعث هذا التحول المعرفي؟ وهل الانتقال من العروبة الفطرية إلى العربية الصناعية المكتسبة ضرورة معرفية أملاها السياق التاريخي والحضاري للأمة الإسلامية بعد انقضاء زمن التكلم بالعربية فطرة وسليقة؟ سيما وأن ألسنة جل الذين أسهموا في هذا التطور المعرفي للغة القرآن أعجمية؟

Abstract

Dr. Mantourrane Mustapha

Regional Academy of Education and Training, Marrakech, Morocco

The Arabic language was distinguished in its first phase by its instinct and nature. Thus, obviously, it is the language of the Arabs. It had a first experience which was mainly characterized by its attachment to the speaker's awareness and knowledge. Following the rhythm of history and civilization, it then entered a scientific experiment with the appearance of the sciences and the evolution of knowledge parallel to its innate natural aspect.

What then are the limits of the innate natural stage of (the language of the Arabs / The language of the Koran)? And when did the inference with the language of the Arabs begin in its reproduced form (sciences of the Arabic language / science Arabic)? And how did (the science of Arabic) become a cognitive equivalent (to Arabic in the Koran), and what motivated this change? Was the transition from innate Arabism to reproduced Arabic an epistemic necessity dictated by the historical and civilizational context of the Islamic Ummah after the expiration of the

time to speak in the Arab instinct? Especially since most of the linguists who have contributed to this epistemic development of the Koranic language are not Arab?

مقدمة

ركز علماء اللغة الأوائل –الذين انخرطوا في تحليل نصوص التنزيل تحليلا صناعيا–على المقابلة بين (كلام رب العباد) و(كلام العباد)؛ فهذا سيبويه(١٨٠هـ) يقول في الكتاب: "لكن العباد إنما كلّموا بكلامهم، وجاء القرآن على لغتهم، وعلى ما يعنون"١. وقد تردد هذا المعنى في نصوص الكتاب بعبارات وصيغ متقاربة تدعو كلها إلى حمل لغة القرآن على المعهود من لسان العرب.

لقد تواترت نصوص الكتاب الدالة على عربية القرآن؛ من مثل قوله تعالى:﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِياً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾٢. ولا شك في أن هذا اللسان العربي قد نال حظوة إنزال القرآن به، وكان للقرآن الفضل الأكبر في الحفاظ على العربية خلال مسيرتها طيلة أربعة عشر قرنا، ومثل ركنها الشديد في تدافعها الحضاري بين مختلف الألسن، وفي معركتها ضد الساعين إلى محو معالمها، وطمس هويتها؛ فلا شك إذاً في أن (اللسان العربي) متين الصلة بـ (الوحي الإلهي)، وقد وُصف هذا الارتباط بوصف مكتنز الدلالة؛ أعني (عربية القرآن). فقد أُسند كلام الله تعالى إلى وسيلة تلقيه، ولغة إنزاله؛ ومن ثم، صار فهم الخطاب القرآني متوقفا على استيعاب خصائص اللسان الذي به أُنزل، ولا سبيل إلى إدراك فحوى الرسالة الإلهية إلا بحذق هذه الوسيلة المفضية إلى تلك الغاية السامية. قال الشافعي(٢٠٤هـ): "على كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أنْ لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله"٣.

إن حمل لغة الكتاب العزيز على أساليب العربية الطبيعية يستوجب بداية تمحيص أصول والبحث في إشكالات كبرى، وأسئلة محورية؛ من قبيل: ما حدود المرحلة الفطرية الطبيعية لـ (كلام العرب/ لغة القرآن)؟ ومتى بدأ الاستدلال بكلام العرب في صورته الصناعية (علوم اللسان العربي/ علم العربية)؟ وكيف صار (علم العربية) معادلا لسانيا (لعربية القرآن)؟ وما باعث هذا التحول؟ وهل الانتقال من العربية الفطرية إلى العربية الصناعية المكتسبة ضرورة معرفية أملاها السياق التاريخي والحضاري للأمة الإسلامية بعد انقضاء زمن التكلم بالعربية فطرة وسليقة؟ ولم تصدّر الأعاجم المسلمون المشروع المعرفي لبناء العلوم الإسلامية؟ ألم تكن الحكمة تقضي بأن يُعهد إلى العرب أنفسهم أمر هذا المشروع الحضاري، وهم الذين جُبلوا على عربية الفطرة، وعايشوا تكوّن عربية الصنعة، بينما ألسنة جُل الذين أسهموا في هذا التطور المعرفي لعلوم اللسان العربي أعجمية، وهم وافدون على البيئة العربية من أنساب أعجمية؟ قال ابن خلدون: "كان صاحب صناعة النحو سيبويه، والفارسي من بعده، والزجاج من بعدهما.. وكلهم عجم

في أنسابهم، وإنما ربوا في اللسان العربي؛ فاكتسبوه بالمِرْبَى ومخالطة العرب، وصيروه قوانين وفنا لمن بعدهم... ولم يقم بحفظ العلم وتدوينه إلّا الأعاجم"٤، هكذا نشأت ألسنة أعجمية في بيئة عربية أصيلة لما تفقدْ خصائص عروبتها، وترعرعت فيها حتى تشرّبت الملَكة العربية التي بها نزل القرآن الكريم؛ فنقلت تلك الأنساق اللغوية الطبيعية، وأفرغتها في قوالب، وصيّرتها قوانين قابلة للتلقي والاكتساب، واكتست بهذا الصنيع اللغة العربية طابع العالمية من حيث النشأةُ ومشاركة غير العرب في تأسيس صرح العلوم اللغوية.

هذه إشكالات يروم البحث إعمال يد المناقشة والمدارسة فيها، ولعل من أهمها تحرير القول في خصائص عربية القرآن الكريم، وسيحاول البحث اختزالها في المحورين الآتيين:

- المحور الأول: العربية الفطرية: مفهومها ومكوناتها.
- المحور الثاني: علم العربية: النشأة الصناعية واستنساخ الصورة الفطرية.

آملين أن نرصد انتقال العربية من طورها الطبيعي، الذي تأثرت فيه بعوامل إدراكية ذهنية لم تدخلها الصناعة، إلى طورها الصناعي، الذي نشأت فيه المعارف، واستحالت الفطرة اللغوية علما يُتلقى ويكتسب.

المحور الأول: العربية الفطرية: مفهومها ومكوناتها

تميزت اللغة العربية في طورها الأول بطبيعتها وفطريتها، فهي لسان العرب بداهة و"أداة فهم للإحساس الفطري الأول في حياة الناطقين بها"٥، فقد عاشت العربية تجربة أولية اتسمت بتعلقها أساسا بوجدان المتكلم وعِرْفانه، ولأنها واكبت سيرورة التاريخ وركب الحضارة فقد دخلت بعد ذلك تجربة علمية صناعية مع ظهور العلوم ونشأة المعارف توازي في نسقها العام الصورة الطبيعية للعربية الفطرية.

١–مفهوم "العربية الفطرية":

نزل القرآن الكريم بلغة العرب التي كانوا يتخاطبون بها فطرة وسليقة، ليحصل البيان الذي هو من أخص خصائص الرسالة السماوية. قال الشافعي(٢٠٤هـ): "إنما خاطب الله بكتابه العربَ بلسانها، على ما تعرف من معانيها. وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها، وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاما، ظاهرا، يراد به العام، الظاهر، ويستغنى بأول هذا منه عن آخره"٦.

فأساليب الكلام العربي كانت تجري على ألسنتهم فطرةً لا يتكلفونها، ولا يتعسّفون في تأدية معانيها، وإنما هي أساليب تجري بسلاسةٍ تبعا للمعاني الطبيعية المركوزة في نفوسهم. وعلى هذا الأساس، تنزلت آيات الكتاب العزيز، وتلقت العرب الذكر مُساوقا لما تعرف في لغتها من ضروب التعبير، وأفانين القول. قال الطبري(٣١٠هـ): "الواجب أن تكون معاني كتاب الله، المنزّل على نبينا محمد صلى الله عليه

وسلم، لمعاني كلام العرب موافقة، وظاهره لظاهر كلامها ملائما، وإن باينه كتاب الله بالفضيلة، التي فضَلَ بها سائرَ الكلام والبيان".٧

لا غرو إذاً أن صفة (الفطرية) خَصِيصة طبعت لغة العرب قبل البعثة النبوية، وخلال العهد الأول من صدر الإسلام؛ فلم تكن إذّاك قائمةً على قواعد ونواميس علمية، وإنما هي تفاعل ذهني إدراكي بين عبارة المتكلم وقصديته، يفضي إلى الإبانة عما في النفس من معانٍ؛ ذلك أن اللغة كانت، وما تزال، "عبارة المتكلم عن مقصوده. وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام"٨.

إن هذه البيئة اللغوية الطبيعية هي التي استقبلت البيان الرباني بداءة ليشعّ نوره في كل أرجاء الدنيا، وهذا اللسان العربي هو الذي نال شرف احتضان التنزيل، وجرت على هَدْيه عربية القرآن. والذي يعنينا، في هذا المقام، أن نبرز خصائص هذه اللغة الفطرية/ الطبيعية السائدة في جزيرة العرب قبل البعثة؛ لاستبانة معالمها اللهجية، وسياقها التاريخي والحضاري، لنتخذ ذلك مِهادا لتوصيف طبيعة الوعاء اللغوي الذي استوعب الخطاب القرآني خطاب الوحي.

العربية الفطرية: ملامحها وخصائصها

اللغة مركّب متجانس من الأصوات والكلمات والتراكيب التي ترتبط دائما بوضع المتكلم في علاقته بالمتلقي ضمن مقام تخاطبي محدد. قال ابن جني عن تعريف اللغة: "أما حدّها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"٩. ولا سبيل إلى تعلم العربية إلا بسلوك أحد مسارين، بينهما فروق؛ فالأول يتمثل في الاكتساب الفطري عن طريق مخالطة العرب الأقحاح لاستيعاب ملَكة العربية، ويتجلى الثاني في الاكتساب المعرفي من خلال القواعد والقوانين التي حلت محل العربية الفطرية. قال ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ): "أما العربية، فالمراد منها معرفة مقاصد العرب من كلامهم، وأدب لغتهم، سواء حصلت تلك المعرفة بالسجية والسليقة؛ كالمعرفة الحاصلة للعرب الذين نزل القرآن بين ظهرانيهم، أم حصلت بالتلقي والتعلم؛ كالمعرفة الحاصلة للمولَّدين الذين شافهوا بقية العرب، ومارسوهم"١٠.

إن اللغة، بهذا المعنى، من خصائص الجنس البشري، لا يضاهيها أي نوع من أنواع الاتصال الغريزي، التي قد تظهر عند بعض الحيوانات. وإن اللغة الإنسانية لتتميز بصلتها الوثيقة بالعقل والفكر الإنساني، بوصفهما اللذين يُمدّانها بالمعاني النفسية، التي هي جوهر الكلام، وهذا الاستمداد تنشأ عنه مقدرة لسانية لامتناهية؛ "تلك القدرة التي تجعل أبناء اللغة الواحدة قادرين على إنتاج وفهم عدد كبير، بل غير محدود، من الجمل التي لم يسمعوها قطّ، ولم ينطق بها أحد من قبل".١١

وبالنظر إلى عربية ما قبل الإسلام في مستواها التداولي، نُلفي أن لهذا اللسان العربي سياقات تاريخية وثقافية تحكمت في ملامحه العامة؛ فقد ظلت العربية في احتكاك دائم مع ألسن أخرى؛ إذ لم تكن الأمة الإسلامية في الجزيرة دما عربيا خالصا، بل داخلتها أجناس أخرى أعجمية، وانتظمت في حواضر الجزيرة العربية وأسواقها المركزية تجمعات ولقاءات ضمّت أجناسا بشرية تختلف ألسنتهم وثقافاتهم، لكن

عربية الجاهلية ظلت محافظة على أصالتها العروبية، مع أن الأمم المتاخمة للعرب، والمسيطرة على جزيرة العرب —سياسيا–، كانت أعجمية (الروم والفرس). ومع ذلك، لم يكن لألسنتهم كبيرُ أثر على العربية، التي ظلت محافظة على بداوتها، ولعل ذلك راجع –كما يؤكد عبد الحق فاضل –إلى أن "العرب لم يكونوا حينئذٍ في مرحلة تثقيف وتمدين، أو بالأحرى لأن هذه الأمم لم تستهدف تثقيف العرب وتمدينهم"١٢.

والعربية، في هذا السياق، كانت تتفاعل في صمتٍ مع لغات أخرى؛ فتؤثر فيها وتتأثر بها، وتُخضع الدخيل من لسان غيرها لنظامها اللغوي؛ فيُبليه التداول، ويصير بمنزلة اللفظ العربي الأصيل؛ لأن "اللفظ العجمي إذا استعملته العرب، وأجْرته مجرى كلامهم في الإعراب والتعريف والتنكير ونحوها، صار عربياً"١٣. وفي هذا السياق الحضاري، الذي يطبعه التداخل والتشابك بين الأمة العربية من جهة، وأمم غير عربية من جهة ثانية، دخلت في جسم العربية ألفاظ أعجمية؛ ذلك أن اللغة بطبيعتها تفاعلية، لا يُتصور أن تبقى منغلقة على نفسها، بل إن هذا الاقتراض أو الأخذ اللغوي عُدّ من عوامل التطور والنماء اللغوي؛ ذلك بأن" تطور اللغة –أية لغة –إنما يكون بتفاعل داخلي بين أبنائها، أو باحتكاك خارجي مع غيرها من لغات بني الإنسان"١٤.

إنّ هذه المخالطة لأجناس غير عربية مهدت لانفتاح حضاري كبير عاشته لغة العرب بعد نزول القرآن الكريم بها؛ حيث نمّاها، وصفّاها من الشوائب، وارتقى بها إلى القدر الذي لم تبلغه لغة سامية غيرها، فاستوعبت لغيّات كانت قد دخلت إلى نظامها، واعتادها الناس في كلامهم؛ فشملها قوله تعالى:﴿ وَهَذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبينٌ﴾١٥، وإن لم تكن – في الأصل – من محض لغة العرب، وإنما هي نَتاج تلاقح طبيعي بين ألسنة متباينة استقطبتها العربية؛ بفضل مركزها الريادي – سياسيا واجتماعيا واقتصاديا – بين القبائل المختلفة. قال ابن عطية الأندلسي (٥٤٢هـ)– في بيان منهج التعامل مع اللفظ الأعجمي في لغة القرآن–: "إن القاعدة والعقيدة هي أن القرآن نزل بلسان عربي مبين؛ فليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب؛ فلا تفهمها إلا من لسان آخر. فأما هذه الألفاظ، وما جرى مجراها، فإنه قد كان للعرب العاربة، التي نزل القرآن بلسانها، بعض مخالطة لسائر الألسنة بتجارات وبرحلتيْ قريش (...)؛ فعلقت العرب بهذا كله ألفاظا أعجمية غيرت بعضها بالنقص من حروفها، وجرت إلى تخفيف ثقل العجمة، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الصريح، ووقع بها البيان... وعلى هذا الحد نزل بها القرآن."١٦

والذي عليه جمهور العلماء من المفسرين واللغويين أن عربية القرآن الكريم قد استوعبت كلام العرب بمختلِف لهجاته؛ ولذلك واجهوا بعض ظواهره الأسلوبية بعَزْوها إلى القبائل التي تكلمت بها بداءة، من ذلك قول سيبويه(١٨٠هـ): " مثل ذلك قوله عز وجل: (ما هذا بشرا) في لغة أهل الحجاز. وبنو تميم يرفعونها إلا من درى كيف هي في المصحف".١٧

وقد لزمت صفة "الفطرية" لغة العرب حتى في ظل رسالة القرآن في عهدها الأول؛ فالتأويل القرآني كان يتم وَفق المعهود في كلام من نزل القرآن بلسانهم، ومن كان لسانه غير عربي من بني الإسلام فإن قوة الدولة الإسلامية، وجاذبية النص القرآني، تُنهزه إلى تعلم لسان العرب حتى يُدرك فحوى رسالة القرآن، ويفهم مقتضاه من غير وساطة؛ لأن الكتاب والسُّنة عربيان، و"لو كانا أعجميين لوجب على الأمة تعلم اللغة الأعجمية؛ ليفهموا مقتضى الخطاب، وأقرب من هذا أن الأعاجم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يجب عليهم معرفة القدر الذي يفهمون به ما يجب عليهم من أحكام الشريعة من اللغة؛ لكونه شرطا في إمكان الامتثال للأوامر".١٨

٣- العربية ورسالة القرآن الكريم

لقد كان نزول القرآن الكريم بلسان العرب فتحا مبينا على العربية وأهلها؛ إذ كُتب للسليقة العربية أن تحيا، وألاّ يأتي عليها سلطان الدهر؛ فيمحوها من الوجود كما فعل بغيرها من اللغات التليدة المماثلة لها، وما ذلك إلا لارتباط العربية بنص القرآن؛ إذ "بها نزل، وفيها عرفه الناس، وبها فُسِّر وشُرح؛ فكان حظُّها من ذلك أنها به اتسمت، وبه انتشرت، وبه دُرست، وبه خُلِّدت"١٩؛ فلولا القرآنُ الكريم لما صمدت العربية أمام تتابع العصور، ورغبةِ أعدائها في طمس معالمها الفطرية، وإيقاف انتشارها وتطورها. ولم يقتصر فضل القرآن على حفظ السليقة العربية فحسب، و"لكنه صفّاها غاية التصفية، وارتفع بها، في معارج الضبط والإتقان، إلى المدى الذي لا يمكن للقوم أن يصِلوا إليه، وهيّأها بذلك لأنْ تكون إنسانية؛ فبثها في كل نفس تقرأ القرآن".٢٠

كما أراد الله للقرآن الكريم وقدّر أن يرتبط بالعربية إذ نزل بها؛ فـ"لا يستطيع أحدٌ أن يتخيل أمة مسلمة غير عربية، ولا أن يتخيل لغة العرب منفصلة عن الإسلام، وكان ذلك من صنع الله بالقرآن؛ فهو أوثق سبب يصل الإسلام بالعروبة، لا تنفصم عُراه، فلا تكون أمة عربية ولا أمة مسلمة إلا بهذا القرآن".٢١

وإذا كان المولى جل جلاله قد اختار لكتابه من بين ألسنة العباد لغة العرب، فإنه عز وجل قد جعله رسالة إلى الإنسانية جمعاء عربيِّها وعجميها، وأقام به الحجة عليهم، وهذا الاصطفاء الرباني للغة العرب مظِنة لأنْ يبحث في مميزات هذه اللغة وخصائصها البيانية، وإلى بعض تلك الخصائص أشار الخطابي(٣٨٨هـ) بقوله: "اعلم أن الله لما وضع رسوله صلى الله عليه وسلم موضع البلاغ من وحيه، ونصبه منصب البيان لدينه، اختار له من اللغات أعربها، ومن الألسن أفصحها وأبينها، ثم أمدّه بجوامِع الكلم".٢٢

وعربية القرآن تحمل بين ثناياها صنفين من المعاني: يفهمها المتلقي بسهولة ويُسر، وأخرى مشكِلة تحتاج إلى الشرح والتفسير، خاصة عندما لا يملك المتلقي مقدرة معرفية تمكّنه من استنباط المعنى المراد؛ بحيث تَحُول عوائق متعددة دون فهم مضمون الرسالة اللغوية، و"لعل أهم هذه المشكلات، المتعلقة

بالمعنى، هي تلك التي تعوق أو تعطّل إحدى وظائف اللغة الأساسية، وهي وظيفة الاتصال؛ مثل مشكلة الالتباس، ومشكلة الاشتراك في المعنى، ومشكلة الإبهام، وغير ذلك"٢٣.

ومن فضائل عربية القرآن على العرب أنْ وحّدت لهجات العرب ضمن لغة مشتركة تمثل فيها لغة قريش موقع الصدارة، وكان للقرآن الفضل العميم في الحفاظ على العربية، وصونها من عوادي الزمن التي حاقت بلغات سامية مثلها؛ فاستحقت من الأوصاف والخصائص ما تصبو إليه كل لغة، وهي تمام الإبانة والإفهام، وتصديقُ ذلك في قوله جل ثناؤه:﴿ وَهَذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبينٌ﴾ فقد بلغت لغة القرآن الكريم في مراقي الإبانة والإفهام مبلغا عظيما، قال الباقلاني: "إن القرآن أعلى منازل البيان"٢٤.

وقد تواترت الأخبار بأن عربية القرآن قد ضمّت بين ثناياها لغيات ولهجات فاقت في عدّها خمسين لغة٢٥، مثلت فيها لغة قريش المركز والمحور الذي ينسّق بين هذه الألسن، المتفقة في الأصول الكلامية، والمتباينة في بعض الفروع؛ فلسانُ قريش هو الذي امتزجت وتداخلت في بنيته لغات عربية أخرى؛ بفعل التكامل الحضاري بين قبائل العرب. قال الزّرقاني (١٣٦٧هـ): "ولا يغيبنّ عن بالك أن هذه اللغات كلها تمثلت في لغة قريش باعتبار أن لغة قريش كانت المتزعمة لها، والمهيمنة عليها، والآخذة منها ما تشاء مما يحلو لها ويرق في ذوقها، ثم يأخذه الجميع عنها حتى صحّ أنْ يُعتبر لسان قريش هو اللسان العربي العام، وبه نزل القرآن".٢٦

وهكذا، صارت لغة قريش، بمختلِف مكوناتها وروافدها، لسان العرب، وكلامهم المتداول بينهم بعد نزول القرآن بهذه اللغة المشتركة، ولم يعد لغيرها من اللغات ذكر لدُرُوسها، واختلاطها، واستحالة تحديدها، إلا ما ندر٢٧. وأما احتجاج اللغويين والنحاة بهذه اللغات في سياق تحليل عربية القرآن، فإن ذلك يقع في صميم بناء نحوٍ للعربية، ينطلق من هذه الألسن المتداخلة في كلام العرب. و"لا يعني استشهاد سيبويه بلغات هذه القبائل أنها سواء، بل يعني أنها تماثل، في بنيتها التركيبية والصرفية والدلالية والصوتية، اللغة العربية كما يمثلها القرآن الكريم؛ وعليه تصلح لأنْ تكون عينة موسّعة للتقعيد النحوي".٢٨

ومتى استعملت عبارة (كلام العرب) أو (كلام العباد) انصرف الذهن إلى هذه اللغة المشتركة، المتآلفة من لغيات عربية تتزعمها لغة قريش، التي هي لسان نبي القرآن عليه الصلاة والسلام؛ لغة تقوم على أساليب محكمة، ونظام لهجي فطري يضبط مستوياتها الصوتية والمعجمية والتركيبية والدلالية؛ هذا النظام الذي صار بمنزلة قانون يحكم كلام العرب، وعلى منواله نزل القرآن. وإليه ألمع أبو إسحاق الشاطبي (٧٩٠هـ) بقوله: "كتاب الله أنزل على قانون كلام العباد"٢٩.

المحور الثاني: علم العربية: النشأة الصناعية واستنساخ الصورة الفطرية.

الاستنساخ والانتحاء أصلان تحكما في بناء المعرفة اللغوية في هيأتها الصناعية العلمية، فحين لاحت بوادر أُفول العربية الفطرية لأسباب حضارية عديدة نشأت عملية تصحيحية رامت توثيق الصلة

بين العهد العربي الفطري وبين الأجيال التي احتجبت عنها العربية الأولى لتأخرهم عن عصرها أو لأن مرْباهم كان في بيئة أعجمية، وقد لخص ابن جني(٣٩٢هـ) بواعث هذا الترابط في سياق تعريفه النحو تعريفا عاما، بقوله: النحو "هو انتحاء سَمْت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره؛ كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك؛ ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم عنها رُدّ به إليها"٣٠.

١- السياق الحضاري لنشأة عربية الصنعة

مع انصرام زمن الفهم الفطري للغة القرآن الكريم؛ بفعل تحولات كبرى عرفها المجتمع الإسلامي، بدأت دراسة النص القرآني بالشرح والتفسير لتقريب المعاني التي تحملها الرسالة السماوية، وذلك بعد اكتمال العلوم المساعدة على تفسير القرآن؛ حيث ظهرت دراسات نظرية ومؤلفات في علوم مختلفة وظيفتُها تبيان مراد الله تعالى من كلامه. وفي هذا الطور، لم يكن التعامل العفوي مع النص القرآني كافيا، وإنما صارت الحاجة ملحة إلى وضع نظريات للفهم، تنطلق من علاقة اللفظ بالمعنى، عبر تحليل السليقة اللغوية، واستنباط القواعد المنهجية التي تنبني عليها؛ لتوظيفها في تحليل النص القرآني، والوصول إلى معانيه. ومن هنا، نشأت علوم اللسان العربي، التي حلت محل العربية الفطرية، وصارت معادلا معرفيا لها.

لقد تجسدت معالم العربية، بكل مستوياتها، في النص القرآني؛ فهو الجامع لعناصرها، المحافظ على كينونتها. ولما أُعملت يد الدراسة والتحليل في عربية القرآن لم يجد علماء التفسير بُدّا من استحضار معهود كلام العرب وأساليبهم الفطرية، الذي نزل القرآن على وِفاقها، بل عُدّ هذا الإجراء من أمهات قواعد التأويل، وأسس ضوابط التفسير. قال ابن العربي المعافري (٥٤٣هـ): "تحقيق الغرض المطلوب أن للناظر في القرآن مآخذ كثيرة، أمهاتها ثلاث: الأولى: النقل عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، وهذا هو الطراز الأول، لكن حذار أن تُعَوّلُوا فيه إلاَّ على ما صَحَّ، ودعوا ما سُوّدَت فيه الأوراق؛ فإنه سواد في القلوب والوجوه. الثانية: الأخذ بمطلق اللغة؛ فإن القرآن أُنْزِلَ بلسان عربي مبين. الثالثة: التفسير بالمقتضى من معنى الكلام، والمقتضب من قوة المنزع"٣١.

ولقد وافقت لغة التنزيل كثيرا من سُنن العرب في كلامهم؛ إذْ نزلت وفق مذاهبهم بصريح نص القرآن. كما وافقت كثيرا من أساليبهم الخفية اللّطيفة. والعرب تسلك في مخاطباتها، وما يودُّون إيصاله إلى المتلقي، من المعاني الكامنة في نفوسهم، طُرُقا عديدة ومتباينة. وإن النّاظر في كلام العرب ليقف على أسرار هذه اللغة العظيمة، وقدرة أهلها على تلوين الخطاب؛ فقد يعدِل العربي عن تأدية المعنى بأسلوب مهذب كل التهذيب، إلى إخفاء بعض المعاني وإضمارها، رغبةً في إظهار البراعة في صياغة الكلام.

وكذلك كلام الله تعالى؛ فمنه المعاني الواضحة التي لا تخفى على ذي بصيرة، ومنها المشكل مما يُحتاج في فهمه إلى كدِّ الفكر، وإعمال أدوات وعلوم تشكلت في البِيئة الإسلامية التي استقبلت النص القرآني. ولذلك، نجد أن أولى المحاولات التفسيرية الصناعية، التي ظهرت في تاريخ الثقافة الإسلامية،

جرت على أيدي كبار اللغويين والنحاة الذين خبروا نظام العربية؛ فكان سبيلهم في تأويل آي التنزيل أنْ حملوها على مقتضى كلام العرب، وخرّجوا مضامينها وَفق أساليب العربية التي تجسدت في علوم اللسان العربي؛ أي المعارف والنواميس التي تعادل في جوهرها أصول العربية الطبيعية.

ولقد تميز البناء المعرفي للثقافة الإسلامية بالاشتباك والتكامل بين الحقول المعرفية، التي شكلت منظومة العلوم الإسلامية، الدائرة في فلك الوحي الإلهي قرآنا وسنة، إذ كان يستدعي المفسر مختلِف العلوم؛ من نحو وصرف، وقراءات وعلم أصوات، وشواهد شعرية، وعَروض، وعلم التوجيه، وأصول فقه، وغيرها من الأدوات والوسائل التي أضحت معادلا للغة الوحي الطبيعية الصافية، بعد أن انقضى زمن التلقي الفطري، مع فوات زمن النبوة، واختلاط العرب الخُلّص بالأعاجم؛ مما استدعى تنظيم المعارف، والتنسيق بينها، ورسم حدودها، وتحديد مواطن اشتغالها داخل النص؛ فكان أن احتاج علماء الأمة إلى بناء نظريةٍ لاستنباط المعنى وفق قواعد منهجية مضبوطة تستثمر ما هو نقلي مأثور، وتصوغه في قوالب تمخضت عن النزعة العقلية الوافدة على الثقافة الإسلامية، عن طريق الترجمة والمثاقفة الفكرية بين الأمم، في سياق حضاري طبَعَه التكامل المعرفي بين الحضارة العربية وغيرها من الحضارات القديمة؛ مثل الفارسية واليونانية؛ فكان من نتاج هذا التلاقي بداية التأسيس لأصول الاستنباط، وقواعد النظر في النص القرآني والنصوص الحديثية.

وفي هذا السياق المعرفي، المحكوم بالحاجة إلى وضع منهج مُوصِل إلى معاني نصوص الوحي، نشأ علم أصول الفقه، وتأسست مبادئه على يد أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، الذي أرسي قواعد علمية لاستنباط المعنى القرآني، مبرزا دلالات الألفاظ وأنواعها، ومُبِينا عن قرائن التخصيص والتعميم في تراكيب لغة الوحي... ولقد توالت الجهود الرامية إلى وضع أصول علم الدلالة اللغوي على امتداد أطوار تراثنا الإسلامي؛ بدءا بالمحاولات الأولى التي استهدفت ضبط النص القرآني جمعا ونَقْطا وإقراءً وإرساء لقواعد قراءته قراءة صحيحة تنأى عن اللحن؛ جليّه وخفيّه، إلى أن غدت لغة الوحي مركز استقطابٍ لمنظومة العلوم الإسلامية، التي تنشد إدراك معاني نصوص الوحي، وتخريج دلالتها وفق المرجعية الفكرية لكل علم؛ فالنحوي تحكمه صناعة الإعراب وقواعد التركيب، والبلاغي تشده الأساليب وتَعْنيه آليات السبك وقواعد النظم، أما علماء الأصول فينطلقون من مرجعية معرفية يؤطرها المنطق، ولا أدل عل ذلك من مقدمات مصنفاتهم، التي تلمع إلى أهمية المنطق في تنظيم المعارف، ودراسة القضايا، واستنباط الأحكام. ولا شك في أن هذه النزعة المنطقية قد أكسبت المباحث الدلالية عمقا تجاوز نظيره عند اللغويين والنحاة.

٢- علوم اللسان العربي: نشأتها ووظائفها

بعد أن كانت اللغة ملكة تُكتسب بالمراس والتمرن، انتقلت إلى علم صناعي يشمل مختلف الموضوعات المتعلقة بكلام العرب؛ من حيث أحكام الإعراب، وبناء التراكيب، وإنشاء الأساليب؛

فاحْتِيج إلى نظريةٍ للمعنى بموجبها تفسر عربية القرآن، وتبلّغ معانيها للقوم الناشئين في بيئات غير عربية، وتربّوا على لسان غير العرب ومذاهبهم في الكلام. قال ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ): "إن القرآن كلام عربي؛ فكانت قواعد العربية طريقا لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم لمن ليس بعربي بالسليقة، ويعنى بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي، وهي: متن اللغة، والتصريف، والنحو، والمعاني، والبيان"٣٢.

وقد حدد ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) أركان علوم اللسان العربي، وبين أن تعلمها واكتسابها هو السبيل الأوحد لاستبانة معاني الوحيين المنزلين بكلام العرب، بعدما كان النفاذ إلى أحكام الشرع يقع سليقة دونما حاجة إلى علوم ومعارف. ولما اندرست عربية الفطرة، صارت علوم اللسان العربي، المسلوخة من العربية الطبيعية، معادلا لها، وأدوات علمية تضمن الفهم السليم لعربية الوَحْيين. قال ابن خلدون في بيان الأركان المشار إليها: "وهي اللّغة والنّحو والبيان والأدب، ومعرفتها ضروريّة على أهل الشّريعة؛ إذ مأْخَذُ الأحكام الشّرعيّة كلّها من الكتاب والسّنّة، وهي بلغة العرب، ونَقَلَتُها من الصّحابة والتّابعين عَرَبٌ، وشرحُ مشكلاتها من لغاتهم؛ فلا بدّ من معرفة العلوم المتعلّقة بهذا اللّسان لمن أراد علم الشّريعة".٣٣

إن التحول المعرفي للغة العرب من طورها الفطري إلى طور صناعي سُبق بعوامل وإرهاصات مهدت لتكوّن عربية الصنعة، وفي مقدمة تلك الدوافع بزوغ فجر الإسلام الذي أيقظ في نفوس العرب والمسلمين روح الإبداع والابتكار في مختلف مجالات المعرفة، بعد أن كانوا بدوا يعيشون حياة البساطة.

وثاني العوامل متعلق باللسان نفسه، الذي هو ناقل الحضارة وآلة المعرفة، وهو رغبة العرب صون العربية – ولاسيما عربية القرآن والحديث النبوي–من الخطإ واللحن. قال ابن خلدون: "خشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا، ويطول العهد بها؛ فينغلق القرآن والحديث على الفُهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطّردةً شِبْهَ الكلّيّات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام، ويلحقون الأشباه بالأشباه"٣٤.

وهكذا، لاحت ملامح علمية اللغة العربية؛ بتأصيل قواعد للفهم تضبط قانون التأويل، وتشقيق مصطلحات تيسر اكتساب علوم اللسان، وتمنعها من الاختلاط والتبديل. ولعل من المداخل الممهدة لعِلمية العربية مدخلين أساسيين؛ أحدهما مرتبط بنقل اللغة من طورها الشفهي إلى طور الكتابة والتقييد،

وهو (فعل الكتابة)، بوصفها مدخلا عامّا، والثاني أخص منه لارتباطه بالنص القرآني، وهو (كتابة المصحف).

٣- مركزية الكتابة في تكوّن عربية الصنعة

لم تكن الكتابة مشتهرة بين عرب الجاهلية؛ فقليل منهم من كان يحسن الكتابة لارتباط الخط والكتابة بالحضارة والعمران، ودخولهما في حيّز الصناعات المكتسبة. ولما كانت عربية ما قبل الإسلام تحكمها المشافهة، لم يكن للكتابة دور في تعلم هذا اللسان الفطري الطبيعي، عكس ما صارت إليه العربية في طورها الصناعي؛ إذ غدت الكتابة مدخلا أساسا لتعلم علم العربية. وعليه، فإن إجادة الكتابة مظهر ومؤشر على سريان نُسغ التحضر في أمة من الأمم. وقد أشار ابن خلدون إلى أن قصور العرب عن فن الكتابة قد لزمهم حتى في صدر الإسلام لحداثة عهدهم بالبداوة إذاك. يقول: "كان الخطّ العربيّ لأوّل الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة، ولا إلى التّوسّط؛ لمكان العرب من البداوة والتوحّش، وبُعدهم عن الصّنائع"٣٥.

إن بين الإسلام والكتابة صلة وثيقة؛ فقد أقسم المولى عز وجل بالقلم، الذي هو آلة الخط، تبيانا لمركزية الكتابة في رسالة الإسلام؛ فقال جل في علاه:﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾٣٦. و"من فوائد هذا القسم أن هذا القرآن كتاب الإسلام، وأنه سيكون مكتوبا مقروءا بين المسلمين"٣٧. ولذا كان الحرص على تعلم الكتابة منذ فجر الإسلام؛ لما لها من أهمية بالغة في تثبيت أركان الدولة الإسلامية ومقوماتها الحضارية، وحفظ اللغة التي بها نزل القرآن وصونها من الاندثار. ولا جرم أنْ جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدية أسرى بدر -ممّن يعرف الكتابة -تعليم عشرة من صبيان المسلمين الخط والقراءة، إيذانا بانطلاق عهد المعارف الإسلامية، التي أشعل جذوتها نور القرآن الكريم؛ فتحولت بموجبه العرب من أمة أمية بدوية إلى أمة متحضرة، تبني تراثها، وتؤسس علومها ومعارفها تأسيسا صناعيا. وكانت بداية هذا المشروع الحضاري نشر ثقافة الكتابة والتدوين، وكذلك دأب كل الحضارات الإنسانية التي عرفها التاريخ.. يكون مُنطلقها تقييد المعارف بالكتابة، التي هي عنوان الحضارة، وأساس التمدّن؛ فالكتابة "من أسمى إبداعات العقل البشري، إنْ لم تكن أسماها طُرّاً، وهي العمود الفِقْري لكل تراث الإنسان؛ من علوم وآداب وأفكار وفلسفات"٣٨.

وإذا كانت الكتابة تدل، برسومها ورموزها، عمّا في النفس من دلالات ومعان، فإن هذا الانتقال، من المعنوي المجرد إلى المحسوس المادي، ينطوي على عمليات دقيقة تحفّز العقل البشري على

التفكير العلمي في بنية هذه اللغة؛ لأن تصوير الأصوات المتعددة في صور وأشكال متباينة يحتاج إلى تراكم علمي وتجارب سابقة، سيما وأن أمة العرب قد قضت دهرها معتمدة على الذاكرة والمشافهة لا قِبل لها بالصنائع ومقومات العمران.

والذي ينبغي أن يُتنبه إليه، ها هنا، هو أن كتابة العربية قد عرفت تطورا تدريجيا مساوقا لتطور الحضارة العربية الإسلامية نفسها؛ فإنه لما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، وخالط العرب الأعاجم مخالطة مستمرة، نتج عن ذلك اضطراب بين مدلول بعض الألفاظ العربية ومنطوقها، وأحيلت معان كثيرة عن حد الاستقامة بسبب ضعف السلائق؛ فاحتاج الناس إلى ضبط الكتابة، وإجادتها؛ وفي سياق هذا الانتقال من الطور الشفهي إلى الكتابي ظهرت بوادر عربية الصنعة، فقد استدعى "تعليم الكتابة ملحوظات نحوية؛ كعدم تنوين الممنوع من الصرف. بل إن نظام الكتابة العربية يطرح أسئلة تفتح باب التفكير النحوي؛ كالواو الزائدة في عمرو، وكالألف المجزومة والمنصوبة عند اتصال واو الجماعة بها، وكألف الوصل والقطع، وكإثبات أحرف العلة وحذفها لأسباب مختلفة، عدا الظواهر الصوتية؛ كالإدغام والإبدال"٣٩.

بالكتابة إذاً تفتّق علم العربية، فكانت ولادة نحو الصنعة حالّا محل نحو الفطرة، وتشكلت معالم الصناعة في اللغة، وظهرت المصطلحات النحوية الأولى، خارجةً من رحم الكتابة بداية. ولعل من ذكاء العرب وفطنتهم حرصهم على كل ما مِن شأنه أن يحفظ بقاءهم في بيئة صحراوية يتربص بها التيه والضياع من كل جانب؛ فلقد دأبوا على عَقْل دوابهم ونُوقهم التي هي ضمان عيشهم. ولما كانت لغتهم من نفائس ما يملكون، قيدوها بالكتابة، وجعلوها بمنزلة ما يُخشى ضياعه وتفلُّته؛ إذ " لم يكتفوا بربط الإبل وغيرها من الدواب، بل (ربطوا المعاني) أيضا خوفا عليها من الشرود؛ ومن ثم الضياع"٤٠. وهكذا، فقد أسهمت الكتابة في تشكل علم العربية، وانطلاق عملية بناء علوم اللسان، وفي مقدمتها نحو الصنعة، القائم على الحدود والاحترازات والأشباه والنظائر.

وينشأ عن حدث الكتابة مدخل خاص، ارتبط -بشكل مباشر -بعربية القرآن، وهو كتابة المصحف؛ إذ لم يكن النص القرآني يُتَلقى بالمشافهة فحسب؛ بل عمد الصحابة إلى تثبيت حروفه، ورسمها كتابة، وهو ما يدعى، في كتب علوم القرآن، بـ (رسم المصحف). ولا شك في أن هذا الحدث قد أسهم في علمية العربية؛ حيث قُيد النص العربي الأول بالكتابة، واستقطب دراسات وتدخلات علمية مختلفة؛ ذلك أن كتابة المصحف ستسمح بـ "عمليات المقارنة بين النص المخزن في الجنان المتْلوّ باللسان،

والنص المكتوب المجموع بين دفتي المصحف. وتحتوي إجراءات هذه المقارنة على ضروب من مظاهر البحث اللغوي؛ منها ما يمهد لتكوّن النحو"٤١.

وبرزت، في هذا المضمار العلمي، شخصيات علمية تميزت بعُجمة ألسنتها، لكنها فاقت غيرها من أبناء العرب في البحث العلمي على نحوٍ يسائل الباحثين في تاريخ العلوم العربية عن سبب هذا الملحظ الناشز. وقد طرح ابن خلدون هذا الإشكال ضمن مشروعه الاجتماعي الكبير، منبِّها إلى أن استئثار العَجَم بصناعة العلوم الإسلامية راجع إلى أصولهم الفارسية أو الرومية التي احتكت بالصناعات، وتمرست بأسباب الحضارة والعمران، بينما لم تكن الأمة العربية كذلك. فلما كان المقام يقتضي إعمال الصناعة، واستثمارها في باب العلوم والمعارف، بانَ تفوق الأعاجم على العرب في هذا الباب، وتلك سُنة الله في خلقه. قال ابن خلدون: "من الغريب الواقع أنّ حملة العلم في الملّة الإسلاميّة أكثرهم العجَمُ؛ لا من العلوم الشّرعيّة ولا من العلوم العقليّة إلّا في القليل النّادر. وإن كان منهم العربيّ في نسبته، فهو أعجميّ في لغته ومَرْبَاهُ ومشيخته، مع أنّ الملّة عربيّة، وصاحب شريعتها عربيّ. والسّبب في ذلك أنّ الملّة، في أوّلها، لم يكن فيها علم ولا صناعة لمقتضى أحوال السّذاجة والبداوة... والقوم يومئذٍ عرب لم يعرفوا أمر التّعليم والتّأليف والتّدوين، ولا دُفعوا إليه، ولا دعتهم إليه حاجة"٤٢.

ومع تدوين القرآن الكريم وخطه في المصحف، وفُشو ثقافة الكتابة بين المسلمين، انطلق ركب المعارف في كل المجالات؛ فوضعت أصول العربية، وضُبط الرسم المصحفي بالشكل والتنقيط، واتجهت الهمم نحو بناء العلوم العربية والإسلامية المساعدة على فهم رسالة الإسلام. وما إن تقدم الزمان قليلا، بعد انصرام القرن الهجري الأول، حتى انطلقت حركة علمية كبيرة في حواضر العالم الإسلامي؛ فكانت "البصرة والكوفة وبغداد ومصر ودمشق وقرطبة وسائر عواصم الإسلام تموج بالرواية الشفوية والسماع والتلقي والتدوين"٤٣ جميعا.

ولما تآلفت المعارف، واكتمل بنيان علوم اللسان العربي، وفي مقدمتها علم النحو، لم يعد في الإمكان تفسير عربية القرآن إلا باعتماد هذه العلوم الناشئة في ظل النص القرآني؛ إذ لا وجود، بعد التحول الحضاري الكبير الذي عرفته الأمة، لكلام العرب في صورته الفطرية؛ فقد استحال علوما ومعارفَ تعادل عربية الفطرة التي بها نزل القرآن الكريم.

خاتمة

يمكن اختزال النتائج التي انتهى إليها البحث في هذا الموضوع في الخلاصة التركيبية الآتية:

تميزت اللغة العربية، تاريخيا، بطورين متقابلين ومتلازمين؛ طور فطري طبيعي –وهو واقع في مرحلة ما قبل الإسلام –، كانت فيه العربية متسمة بالبساطة والعفوية والبداوة، وطور دخلت فيه العربية مرحلة صناعية استنسخت النظام الثاوي خلف العربية الطبيعية الأولى، وحوّلته إلى أصول علمية ونظريات ومقاييس اصطُلِح على تسميتها بـ"علم العربية".

وما كان للعربية أن تتحول إلى معارف صناعية لولا تنزلُ القرآن الكريم بها؛ فهو الذي صفّاها، وجمع ما تفرق من لغياتها في نص ثابت استوعبها لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ فغدت بذلك لغة مشتركة تجتذب إليها أجناسا بشرية متعددة. وفي ظلال القرآن، استعادت العربية صورتها المرقومة التي بُليت بفعل عوادي الزمن، وغدت رسوما وأشكالا تخط ما بالنفس من معان؛ فتخرجها للعيان من خلال الكتابة الإملائية والرسم المصحفي.

ولقد تعددت العلوم المؤسِّسة لثقافة العرب والمسلمين بتعدُّد مجالات العلم التي طرقها علماء الأمة، لكنها تتمحور مجتمعةً حول مركز واحد، وتدور في فلك النص القرآني؛ فما من علم تأسس في الإسلام إلا وله عُلقة بلغة الكتاب العزيز. ولذا، فإن علوم اللسان العربي تتشابك فيما بينها، وتتكامل في تناسق وتعاون نصي بديع، وتصديقُ هذا الاتساق والانسجام من كتب التفسير اللغوي، ومصنفات معاني القرآن؛ حيث يُستدعى لتفسير الآية الواحدة أصناف من العلوم والمعارف؛ من نحو وصرف وشعر وبلاغة ومعجم وغيرها.. كل علم يكشف عن جزء من المعنى الكلي الذي يسعى المفسر إلى استبانته.

وهكذا، استعاض العلماءُ بعلوم اللسان العربي عن اللغة الفطرية التي لم يعد لها وجود بين أيديهم، بعد انقضاء زمن السليقة والتلقي الفطري لعربية القرآن؛ فترى المفسر، وهو يقارب معنى الآية الكريمة، يستهل درسه التحليلي بتناول البنية الصوتية لألفاظ الآية، وتفكيك بنيتها التصريفية لبيان أصولها الاشتقاقية، ثم يعْمِد إلى التركيب النحوي؛ فيبحث في وجوهه، وغير ذلك من مستويات صناعة العربية، التي سَدّت مسدّ العربية الأم.

الحواشي

١– سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م. ٣٣١/١.

٢ – سورة فصلت، الآية،٢.

٣– الشافعي، الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٩٣٨م. ص: ٤٨.

٤- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار الهداية، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م. ٣٦٢/٢.

٥ - التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م. ص: ١٨، من المقدمة.

٦- الرسالة: ٥١-٥٢.

٧- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر، ط١، ٢٠٠١م. ١٢/١.

٨- ابن خلدون، مصدر سابق،٢/ ٣٦٧.

٩- ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٢م.٣٣/١.

١٠- ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ط ١، ١٩٨٤م. ١٨/١.

١١- سعيد بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٧م. ص: ٤٠.

١٢- عبد الحق فاضل، تأثير الأعاجم في لغة العرب، مجلة "اللسان العربي" الصادرة عن المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط. العدد ٢، ١٩٦٥م. ص: ٢٨.

١٣- البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ. ٢٥٥/٣.

١٤- عبد الحق فاضل، مصدر سابق، ص: ٢٠.

١٥- سورة النحل، الآية: ١٠٣.

١٦- ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ. ٥١/١.

١٧- سيبويه، مصدر سابق: ٥٩/١.

١٨- الطوفي، الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية، تحقيق: محمد بن خالد الفاضل، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٩٩٧م. ص: ٢٦٦.

١٩- عبد الأمير محمد أمين الورد، الظِّئْرِيات (أدلة كتاب معاني القرآن لأبي زكريا يحي بن زياد الفراء) مجلة المورد العراقية، العراق، العدد١، ١٩٨١م. ص:٤٠١.

٢٠- محمد أبو موسى، دلالات التراكيب (دراسة بلاغية) مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧م. ص: ٢٥.

٢١- أحمد شاكر، الشرع واللغة، دار المعارف، القاهرة، د.ت. ص:٤.

٢٢- السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: علي محمد البجاوي وآخرين، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٩٨٦م. ٢٠٩/١.

٢٣- عزمي إسلام، مفهوم المعنى (دراسة تحليلية) حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية السادسة، ١٩٨٥م. ص ص:١٢٥-١٢٦.

٢٤- الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط٥، ١٩٩٧م. ص: ٢٧٦.

٢٥-السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ضبط وتصحيح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م. ١٥٤/١.

٢٦- الزرقاني عبد العظيم، مناهل العرفان، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٨م. ١٨٠/١.

٢٧- الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٩، ١٩٧٣م. ص: ٤٧.

٢٨- الملخ حسن خميس، التفكير العلمي في النحو العربي، دار الشروق، عمّان، الأردن، ط ١، ٢٠٠٢م. ص:٧٢.

٢٩- الشاطبي، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، تحقيق: مجموعة من العلماء، نشْر: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ٢٠٠٧م. ٦٢٧/٣.

٣٠- ابن جني، الخصائص: ٣٤/١.

٣١- ابن العربي، قانون التأويل، تحقيق: محمد السليماني، دار القبلة، جدة، ط١، ١٩٨٦م. ص: ٦٥٩-٦٦٠.

٣٢- ابن عاشور، التحرير والتنوير: ١٨/١، من المقدمة.

٣٣- ابن خلدون، مصدر سابق: ٣٦٧/٢.

٣٤- المصدر نفسه: ٧٥٤/١.

٣٥- المصدر نفسه: ١٢١/٢.

٣٦ - سورة القلم، الآية، ١.

٣٧- الطاهر بن عاشور، مصدر سابق: ٦٠/٢٩.

٣٨- عبد الحق فاضل، التطور الحي في اللغة العربية، مجلة "اللسان العربي" الصادرة عن المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط العدد ٣، ١٩٦٥م. ص: ٣٧.

٣٩- الملخ حسن خميس، التفكير العلمي في النحو العربي، ص: ٦٢.

٤٠- عبد الحق فاضل، التطور الحي للغة العربية، ص: ٣٧.

٤١- مصطفى أبو حازم، النحو والتفسير (أصول نظرية ونماذج تطبيقية) ص: ٧٦.

٤٢- ابن خلدون، مصدر سابق: ٣٦١/٢.

٤٣- الطناحي: مقالات محمود محمد الطِّناحي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م. ص: ٥٢٤.

المصادر والمراجع

- القران الكريم برواية حفص عن عاصم.

- الباقلاني (أبو بكر محمد بن الطيب)، **إعجاز القرآن**، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط٥، ١٩٩٧م.
- الرافعي (مصطفى صادق إعجاز) **القرآن والبلاغة النبوية**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٩، ١٩٧٣م.
- البيضاوي (عبد الله بن عمر) **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- عبد الحق فاضل، **تأثير الاعاجم في لغة العرب**، مجلة "اللسان العربي" الصادرة عن المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط. العدد ٢، ١٩٦٥م،
- ابن عاشور (محمد الطاهر) **التحرير والتنوير**، الدار التونسية، تونس، ط ١، ١٩٨٤م.
- عبد الحق فاضل (**التطور الحي في اللغة العربية**) مجلة "اللسان العربي"، العدد ٣، ١٩٦٥م.
- الملخ (حسن خميس) **التفكير العلمي في النحو العربي: الاستقراء –التحليل –التفسير**، دار الشروق، عمّان، الأردن، ط ١، ٢٠٠٢م.
- الطبري (أبو جعفر) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر، ط١، ٢٠٠١م.
- ابن جني (عثمان أبو الفتح) **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٢م.
- أبو موسى (محمد) **دلالة التراكيب: دراسة بلاغية**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧م.
- الشافعي (محمد بن إدريس) **الرسالة**، تحقيق: أحمد شاكر، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٩٣٨م.
- شاكر (أحمد محمد) **الشرع واللغة**، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- الطوفي (سليمان بن عبد القوي) **الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية**، تحقيق: محمد بن خالد الفاضل، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٩٩٧م.
- الورد (عبد الأمير محمد أمين) **الظِّنْزِيات**، مجلة "المورد"، العراق، العدد١، ١٩٨١م.
- ابن العربي (محمد بن عبد الله أبوبكر) **قانون التأويل**، تحقيق: محمد السليماني، دار القبلة، جدة، ط١، ١٩٨٦م.

- سيبويه(عمرو بن عثمان بن قنبر) **الكتاب**، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.
- ابن عطية الأندلسي (عبد الحق بن غالب) **المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- السيوطي (جلال الدين) **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق: علي محمد البجاوي وآخريْن، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
- السيوطي (جلال الدين) **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، ضبط وتصحيح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
- عزمي إسلام، **مفهوم المعنى: دراسة تحليلية**، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية السادسة، ١٩٨٥م.
- الشاطبي (إبراهيم بن موسى أبو إسحاق) **المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية**، تحقيق: مجموعة من العلماء، نشْر: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ٢٠٠٧م.
- الطناحي، **مقالات محمود محمد الطِّناحي**، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار الهداية، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م.
- الزرقاني (عبد العظيم) **مناهل العرفان في علوم القرآن**، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٨م.
- التهانوي (محمد بن علي) **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط،١، ١٩٩٦م.
- أبو حازم (مصطفى) **النحو والتفسير: أصول نظرية ونماذج تطبيقية**، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط،١. ٢٠١٥م.